استعمال اللغة العربية بين الواقع والآفاق تصور لمستقبل الخطاب في الجامعة

أ.د: بشير إبرير
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة عنابة – الجزائر

1 – مقدمة:

تتأسس هذه الدراسة على البحث في مفهوم اللغة وأهميتها، فتنظر إلى اللغة العربية في علاقتها بمنظومات المعرفة المختلفة من علوم وفنون وثقافة وتربية وإعلام، بمحاولة تحليل واقع استعمال اللغة العربية في الجامعة الجزائرية وحصر بعض المشكلات المتعلقة بها، ثم تحاول تقديم جملة من الاقتراحات من أجل تعزيز استعمالها في الجامعة وهذا من خلال التطرق إلى الجامعة في علاقتها بالسياق الثقافي – الاجتماعي وتحديد احتياجات الطالب الجامعي في ضوء المتغيرات العالمية ومن خلال ذلك تصور لمستقبل الخطاب العلمي والثقافي في الجامعة بالتطرق إلى مواصفات الإطار الجزائري المنشود وبالإشارة إلى بعض الحلول التي من الممكن أن تقترحها اللسانيات التطبيقية وتعليمية اللغات في هذه المسألة.

2 – مفهوم اللغة وأهميتها: من أجل نظرة للغة العربية في علاقتها بمنظومات المعرفة المختلفة:

شكّل الاهتمام بتعريف اللغة ظاهرة فريدة من نوعها قديما وحديثا، فقد عرفها ابن جني (ت.392 هـ) بأنها » أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. « [1] وعرفها ابن خلدون (ت.808 هـ) بأنها: » عبارة المتكلم عن مقصوده.. «. [2] وقد عرفها اللسانيون المحدثون تعريفات عديدة خصوصا مع ظهور اللسانيات علما قائما برأسه له مصطلحاته ومفاهيمه وإجراءاته التطبيقية وذلك بفضل المنهجية المهمة التي أضافها ف.د.سوسير (F. de Saussure) إلى الدراسات اللغوية؛ إذ حدد مفهوم اللسانيات وموضوعها وما تعلق بها من تحديد للمفاهيم والمصطلحات ومنها : مفهوم مصطلح اللغة؛ فهي عنده نظام من العناصر مترابط منسجم يدرس في ذاته ولذاته؛ باعتباره بنية في دوالّه ومدلولاته ومجموع العلاقات الرابطة بينها.

ومما لا شك فيه أن أراء ف.د.سوسير في اللغة قد فتحت آفاقا جديدة في ميدان الدراسات اللغوية، فأصبحت اللغة موضوعا للسانيات يدرس دراسة علمية مؤسسة على منهج واضح بعيد عن العواطف والأهواء. ولم يتوقف الأمر عند ف.د.سوسير وإنما ظل الاهتمام بتعريف اللغة متواصلا وسيظل كذلك، لأنها ترتبط بالإنسان في حركاته وسكناته ومختلف نشاطاته حتى إنه يعرّف » بأنه حيوان ناطق « ومن ذلك أن الإنسان كينونة لغوية على رأي على حرب[3].

---

[1] – أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، بيروت، دار الهدى للطباعة والنشر، ط (2)، ج (1)، ص: 33.

[2] – ابن خلدون، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1961، ص: 1056.

[3] – انظر مقالة الهام في مجلة دراسات عربية، عدد (6)، أفريل 1983، ص: 36، عنوانه: الحقيقة والمجاز نظرة لغوية في العقل والدولة.

إن اللغة مسكن الوجود في نظر م.هيدغر (Martin Heidegger)، وهي مجال الإفصاح والإبانة عن أوجه الكائن والمكان الذي ينبني فيه الفكر[□]. وبذلك تتجاوز كونها بنية أو نظاما محدودا بين نقطة بداية ونقطة نهاية كما رأينا مع ف.د.سوسير؛ لأنها إن كانت كذلك فقدت طاقتها على الإبداع وسلبت من الألفاظ قدرتها على الإشعاع والنفاذ[ين]. يرى جاك دريدا (J.Derrida) أن اللغة هي الهواء الذي نتنفسه[□]، لأنها تحيط بنا من كل جانب، فهي النافذة التي من خلالها نطل على العالم ونحاول فك رموزه ومعرفة أسراره وإدراك كنهه وفتح مستغلقاته. إنها ذلك المعلوم المجهول الذي نتخذه وسيلة للتعبير عن أنفسنا حقيقة ومجازا في وعينا ولا وعينا على اختلاف المستويات النفسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية... وعلى مختلف الأبعاد: الماضي والحاضر والمستقبل. فهي – كما يقول نبيل علي – « مسؤولية الجميع، مسؤولية المجمع والجامع ومؤسسات التربية وأجهزة الإعلام والمنظمات الثقافية، مسؤولية وجهاء النخبة وبسطاء العامة، مسؤولية الشاعر والعامل والناشر والكاتب والقارئ والمدرس والطالب. إن اللغة هي الأم التي ترعى كل ناطق بها وكأنه طفلها الوحيد الأثير تزهو وتنمو إن تمرد عليها شعراؤها، ولا تضيق ذرعا بصرامة علمائها، وتغفر للعامة تجاوزها ولا تحرم النخبة من تميزها. »[□].

---

[4] – المرجع نفسه، ص: 36.

[5] – المرجع نفسه، ص:36.

[6] – في ندوة عقدها المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، مايو 2000، انظر نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، عالم المعرفة الكويت، رقم 265، يناير 2001، ص:227.

[7] – المرجع نفسه، ص: 288.

وعلى هذا فإن نظرتنا إلى لغتنا العربيـة وأهميتهـا تكمـن في علاقتهـا بمنظومـات المعرفة المختلفة من علوم وفنون وثقافة وتربية وإعلام. فليس اللغوي المسؤول الوحيد عن اللغة، وإنما يتظافر دوره ووظيفته مع مـا يؤديـه المتعـاملون باللغـة مـن وظـائف وأدوار في مختلف التخصصات وبخاصة في هذا العصر الذي يشهد عملقة تكنولوجية ومعرفة خارقة. فالثقافـة تغـير مفهومهـا وأصـبحت صـناعة تسـتثمر وتنـتج وتصـدر بالنسبة للمجتمع ككل وهذا ما يثبته بوضـوح الـدور المهـم الـذي تقـوم بـه اللغـة في المجتمع الحديث[8].

ومن هنا يصبح التساؤل مشروعا : كيف نواجه الآخر ؟ مـاذا نملـك مـن وسـائل كفيلة بتحقيق أمننا الثقافي ووسـائل المواجهـة لم تعـد كمـا كانـت في الماضـي البعيـد مغالبة جسدية مباشرة ؟

إن مقولة المتنبي:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

لم تعـد ذات فاعليـة حضـارية؛» لأن المعركـة الحقيقيـة القادمـة ذات النتـائج الحاسمة ستكون معركة ثقافية/حضارية في المقام الأول. «[9]. إن الثقافـة هـي الـتي تحرك العالم وتصنع خرائطه وتحدد زمانه ومكانه ... وهي محور التنمية في مجتمع المعلومات المعقد، ونحن ما زلنا نتحدث عن أزمة اللغة العربية وكأنها أصبحت عاهة

[8] – انظر، فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، ترجمة أحمد عوض، عالم المعرفة رقم 263، سنة 2000، الكويت، ص: 92 وما بعدها.

[9] – سالم ساري، إشكالية الثقافة والحضارة: مصادرها وأبعاد الصراع القادم، مجلة البصائر، المجلد (2)، العدد (1)، آذار 1988، ص: 87، عمادة البحث العلمي جامعة البنات الأردنية الأهلية.

تابثة فينا تعوقنا عن التفكير وتقف أمامنا عقبة كؤودا تضبب رؤيتنا للمستقبل وتجعل آفاق صيرورتنا غامضة أمامنا، وتدفعنا أبدا إلى الاختلاف الحاد في الجوانب الهامشية حتى في نطق كلمة "أزْمة أم أَزَمة وكيف نجمعها أأزْمات أم أزَمات؟ والأهم من كل هذا هو ما مفهوم الأزمة؟ أيعني الكارثة؟ أم يعني البعد الإيجابي في الشيء الدال على صحة الوعي واستشرافه للمستقبل؟ ذلك أن من لا يحس بالأزمة يوجد خارج النقصان؟ فإما أنه نموذج كامل والكمال لله سبحانه وتعالى وإما أنه ميت يحتفل برماده. فإن من يشعر بالأزمة هو في الحقيقة شاعر بالحياة. والأزمة إذا اشتدت انفرجت[10].

3 – محاولة لتحليل واقع استعمال اللغة العربية في الجامعة الجزائرية وحصر بعض مشكلاتها:

نستعين في محاولتنا لتحليل واقع استعمال اللغة العربية في الجامعة بعدة عناصر نراها توفر لنا مادة يمكن تحليلها وتقويمها منها:

– تدريسي لمادة المصطلحات العلمية لطلبة الهندسة المدنية والرياضيات والإعلام الآلي.

– تدريسي اللغة العربية لأساتذة العلوم الاجتماعية الذين تعلموا بالفرنسية.

– تدريسي اللغة العربية وآدابها لطلبة اللغات الأجنبية بقسميها الفرنسي والإنجليزي.

[10] – انظر البيت الأول من قصيدة أبي الفضل يوسف بن النحوي المتوفى سنة 513 هـ عنوانها " المنفرجة ".

– تدريسي بقسم اللغة العربية وآدابها لطلبة الليسانس مجموعة من المواد منها: لسانيات النص وتحليل الخطاب ومناهج البحث وتعليمية اللغات.

– عملي أستاذا بالمركز المكثف للغات سابقا بجامعة عنابة من 1985 إلى 1996. وقد أتاح لي هذا العمل فرصة التعامل مع الكثير من الأساتذة والطلبة الجزائريين منهم والأجانب و بمختلف تخصصاتهم، وكذلك مع الكثير من الإداريين الراغبين في تعلم اللغة العربية.

– عضويتي في خلية البحث البيداغوجي بجامعة عنابة من 1992 إلى 1998، إذ توج نشاط هذه الخلية بتنظيم خمسة ملتقيات وطنية مكنتني من الالتقاء بكثير من الأساتذة الباحثين فاستفدت كثيرا من آرائهم ومعلوماتهم.

لقد مكنتني هذه العناصر من تسجيل كثير من الملاحظات المتعلقة باستعمال اللغة العربية في أوساط الطلبة والأساتذة والإداريين والأجانب[11] ويمكن أن نحصرها في المشكلات الآتية:

أ – التدريس بمستوى لغوي خليط بين الفصحى والعامية والفرنسية.. وغياب لغة التخصص على لسان المدرس والطالب:

وهي مسألة مهمة خطيرة في رأي لكونها تنعكس سلبا على مستوى تكوين الطالب في الجامعة، ومن جهة أخرى تبين بل تفضح واقع مدرس لا يتحكم في أداة التبليغ الأساسية. فما لاحظناه هو أن التدريس في كثير من الفروع العلمية مثل الهندسة والميكانيك والمناجم... لا يتم باللغة العربية الفصحى، لأن النسبة الغالبة من

[11] – نسجل إقبال كثير من الأفارقة والسوفييت سابقا على تعلم اللغة العربية، إقبالا ملحوظا، وكذلك بعض المغتربين الجزائريين.

الأساتذة في هذه الفروع يتعللون بكونهم لا يعرفون العربية، وهم في حقيقة الأمر لا يدرسون بالفرنسية، وإنما بخليط بينها وبين الدارجة. والأمر نفسه بالنسبة لفروع العلوم الإنسانية والاجتماعية؛ فكثيرا ما يتم التدريس بلغة هجينة هي وسط بين الفصحى والدارجة وأحيانا بين الفرنسية والعربية أو بين الفرنسية والإنجليزية عند بعض الأساتذة الذين يدرسون الإنجليزية.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن بعض الأساتذة يجدون أنفسهم مجبرين على ذلك مدفوعين إليه دفعا للضعف الملحوظ الذي يعانيه الطلبة في فهم اللغة واستيعاب الدروس.

يعني هذا أن كلا من الطالب والمدرس في الجامعة غير متمكن من لغة التخصص الذي يدرسه. وهي تلك اللغة التي تميز بين الخطابات والنصوص المختلفة فيصير لكل خطاب خصوصياته اللغوية التي تبين أصالته وتفرده؛ مثلا الفيزياء والرياضيات والبيولوجيا والإلكترونيك... تنتمي كلها إلى الخطاب العلمي لكنها تختلف فيما بينها، إذ لكل تخصص لغته التي تكمن في مفاهيمه وموضوعه ومنهجه وإجراءاته التطبيقية، والأمر نفسه بالنسبة إلى الفلسفة وعلم الاجتماع واللسانيات والنقد والأدب....

إن هذا النقص الواضح الذي يعانيه الأستاذ والطالب في الجامعة يؤدي إلى خلل كبير في أداء العملية التعليمية لذلك يتخرج الطالب بعد أربع سنوات أو خمس قضاها في الجامعة وهو لا يجيد لا اللغة العربية ولا لغة أخرى غيرها، ولا هو قد فهم واستوعب ما تلقاه. ونشير هنا إلى مسألة في غاية الأهمية في نظري وهي التي تتمثل

في تدريس المصطلحات العلمية لطلبة العلوم التكنولوجية المختلفة، إذ يتم أحد أمرين؛

–إما أن تسند إلى بعض أساتذة العربية وآدابها – وأنا من الذين أسندت إليهم هذه المادة في الهندسة المدنية والرياضيات والإعلام الآلي – الذين بالرغم من الجهود الكبيرة التي يبذلونها في تقديم مادة ليست من تخصصهم وبالرغم من السهر عليها ومحاولة التحكم في مختلف الأوضاع المتعلقة بها حتى الإدارية منها[12] لا يستطيعون أداء رسالتهم كما ينبغي، لأن المادة المتعلقة بمصطلحات الرياضيات أو الفيزياء أو الإلكترونيك أو الهندسة المدنية.... من المفروض أن يتولى تدريسها بالعربية أساتذة من هذه التخصصات نفسها ولا تسند أبدا إلى أساتذة من تخصصات أخرى إلا إذا كان الهدف دراسة اللغة فيكون الأمر عندئذ يحمل مقصدا آخر.

– وإما أن تترك بلا تدريس ويجري فيها امتحان خاص في نهاية المرحلة الدراسية يتم بالتواطؤ عليه ويتوج بنجاح الجميع وهذا، لعمري، كارثة عظيمة جدا على التحصيل العلمي والمعرفي في الجامعة الجزائرية تجعل العملية التعليمية لا تسير على أحسن وجه وتجعل تلقي الخطاب العلمي عملية عسيرة محفوفة بالمزالق.

ب – الفصل بين المادة التعليمية والثقافة المحيطة بها: في برامج التعليم المختلفة في المدارس والجامعات فقد أصبح لدينا خريجون ذَوُو مؤهلات عالية المستوى من الناحية النظرية، لكنهم بعيدون كثيرا عن الفهم الواعي لمجمل مقتضيات الحياة والمجتمع، وصرنا نشعر – فيما نشعر به– من أوجه فشل منجزات مشروعات

[12] –كثيرا ما يقدم بعض المسؤولين الذين هم أساتذة في المقام الأول، بالمعاهد العلمية على عدم تسهيل مهمة أستاذ اللغة العربية بالمعاهد التي يشرفون على تسييرها ولنا في ذلك حكايات! !

التنمية وطرائق تخطيطها وإدارتها – بأن لدينا أمية أفدح من أمية القراءة والكتابة: أمية الثقافة التي تشكل تفكيرنا وخيالنا وسلوكنا... وذلك ما أدى إلى جمود المناهج التعليمية وركّم نوعا من المتعلمين صاروا بؤرة لإعادة إنتاج التخلف الثقافي[13].

جـ – عدم تظافر الاختصاصات وعدم ربط الصلة بين العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم التكنولوجية:

هذه أيضا مسألة على درجة كبيرة من الأهمية والخطورة، إذ نلاحظ فصلا ظاهرا بين التخصصات العلمية الخالصة وبين العلوم الإنسانية والاجتماعية التي كثيرا ما تعدّ أقل أهمية، ويبلغ هذا الفصل إلى درجة التنافر في بعض الأحيان ولاسيما إذا تعلق الأمر باللغة العربية. كثير من الأساتذة الجامعيين، وبالأخص في الفروع العلمية، يعدون أنفسهم غير مطالبين بالضبط اللغوي والتقني والتنظيمي للموضوعات العلمية المختلفة: والدقة اللغوية تعكس قيمة الخطاب العلمي في القياسات والملاحظات والحسابات والتنبوءات التي تعد عاملا مهما في النقد والتقدير العلميين.

توجد وشائج قربى وعلاقات نسب بين التخصصات العلمية والإنسانية والاجتماعية، وتعد اللغة القاسم المشترك الذي يبوئها مكانا مرموقا على مستوى المعرفة مهما اختلفت فروعها.

إن اللغة هي الوسيلة الأساسية لربط العلاقة بين فروع المعرفة على اختلافها وتشابكها؛ فهي لسان المعرفة وهويتها إن جاز التعبير. وهي كما يقول نبيل علي:

[13] – انظر، سليمان العسكري، التعليم والثقافة: العلاقة الغائبة، مجلة العربي، العدد 490، سبتمر 1999، ص: 18 وما بعدها.

قمة العلوم الإنسانية ورفيقة العلوم الطبيعية وركيزة الفلسفة عبر القرون، ورابطة عقد الفنون ومحور تكنولوجيا المعلومات وهندسة معرفتها ولغات برمجتها« [14].

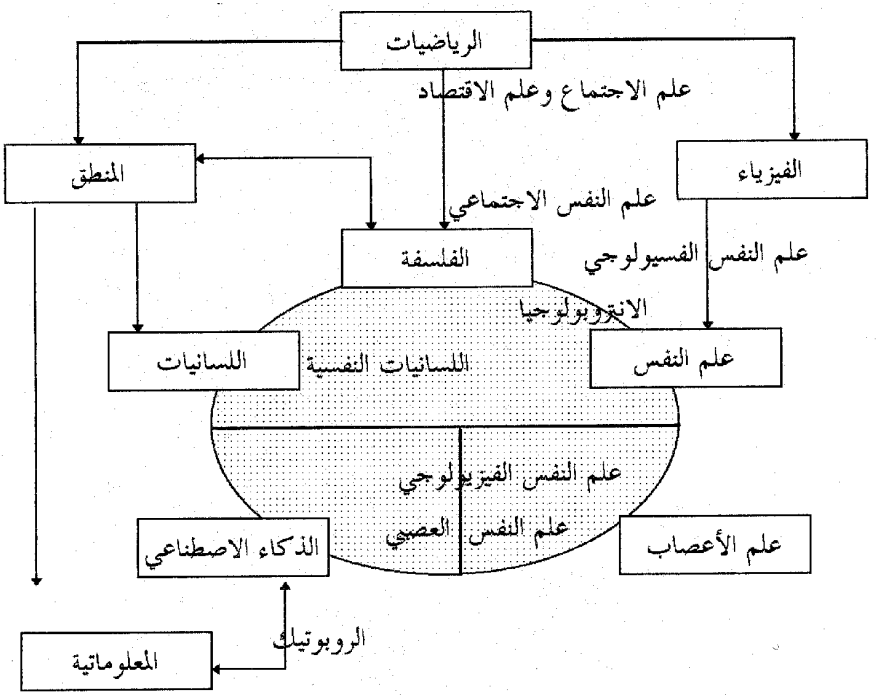

ويمكن أن نبين هذا التلاقي والتظافر بين المعارف من خلال الرسم الآتي [15]:

د – الضعف الواضح في التكوين التعليمي (didactique) :

14 – نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، ص: 240.

15 – ANDLER Daniel, Sciences congnitives , Encyclopaedia Universalis, V :65a- 73c, Fig1

ترتبط العوامل السابق ذكرها – في نظري – بعدم ترسخ الثقافة التعليمية في مؤسساتنا التربوية ومنها الجامعة بوجه خاص. نلاحظ ضعفا واضحا في طرائق التدريس وأساليب تقويمه، ونجد من لا يستطيع أن يقدم درسه – كما سبقت الإشارة إلى ذلك– لا باللغة العربية ولا بالفرنسية ولا بأية لغة أخرى، بل يقدمه بالدارجة، ونلفي من يحمل شهادات عالية في موضوع محدد جدا لكنه لا يستطيع الخروج عنه أبدا، فالدروس لا يتم تجديدها إلا قليلا. فما درسه طالب الثمانينيات هو نفسه ما درسه طالب التسعينيات وما يدرسه طالب بداية الألفية الثالثة. وهذا راجع إلى عدم عمق التكوين والقدرة على البحث المتواصل، مما يؤدي إلى "اغتيال" الملكات الإبداعية في الطالب وإطفاء ما عنده من شوق إلى التعلم والاستزادة ويؤثر في النهاية على استعمال اللغة العربية.

4 – من أجل تعزيز استعمال اللغة العربية في الجامعة (تصور لمستقبل الخطاب):

يقتضي الحديث عن تعزيز استعمال اللغة العربية في الجامعة الجزائرية استراتيجية مستقبلية تحمل تصورا محددا لما يكون عليه مستقبل الخطاب الجامعي من حيث التربية والثقافة والتكوين واللغة في ميادين العلوم والآداب والفنون، ولذلك كان من الواجب العمل على جعل الجامعة الجزائرية تصدِّر خطابها، بما يحمل من خصوصيات مميزة، إلى ما جاورها من بلدان عربية تشترك معها في الرؤيا والتاريخ والمصير، وبلدان أوربية في حوض المتوسط وإفريقيا، وكل الدول التي بها جاليات جزائرية وعربية وإسلامية أو تربطنا بها مصالح السياسة والاقتصاد والسياحة.

إن رسم هذه الاستراتيجية يتطلب منا تناول العناصر الآتية:

أ– الجامعة والسياق الاجتماعي – الثقافي:

ترتبط الجامعة ارتباطا وثيقا بالسياق الثقافي – الاجتماعي، ولذلك عدَّ البحث في موضوع الجامعة والتعليم العالي جزءً من السياق الثقافي لحياة المجتمع. إن الإنتاج الفكري للجامعة والعلاقات التي تنشأ فيها «بين الطلاب والمعلمين، والاستثمار في إنتاج أجيال من المتعلمين هو في النهاية: طريق المجتمع في إعادة تفسير التاريخ وفي توليد أبنية الواقع المعيش، فلا نستطيع أن نفصل الجامعة عن السياق الثقافي لحياة المجتمع... المنظور الثقافي يضع دور الجامعة والتعليم العالي – إذن – في إطاره الأوسع، فالطلبة ليسوا مجرد متلقين للمعلومات، وإنما هم أيضا محرك للتغيير الاجتماعي (□ يم).

وإذا كانت الجامعة مؤسسة تعليمية تسهر على التربية والثقافة والتكوين، وتخدم المجتمع الذي توجد فيه، فإنها تستمد فلسفتها التربوية من فلسفته؛ ومن خلال ذلك تؤسس مناهجها وطرائقها في انسجام مع سائر المنظومات الاجتماعية السياسية والاقتصادية والثقافية بما يستوجب الاستناد إلى منطلقات مجتمعية عامة. ولذلك يراعي الخبراء في وضع المناهج والسياسات التربوية طبيعة المجتمع الذي يعدون له المنهج المناسب لفلسفته واتجاهاته ومتغيرات العصر الذي يعايشه وانطلاقا من ذلك يقومون بتحديد الأهداف العامة الملائمة رابطين إياها بالمحتوى والطرائق والوسائل وأساليب التقويم المطلوبة لتحقيق الأهداف. فمن غير الممكن أن نتحدث عن استعمال اللغة العربية في الجامعة دون البحث في خصوصيات المجتمع الجزائري باعتباره أساسا مُهِمًّا نستند إليه في تصورنا واقتراحاتنا لمستقبل الخطاب في الجامعة.

---

[16] – انظرن سعد دعيبس، اللغة العربية والتكوين الثقافي لطلاب الجامعة، مجلة علامات في النقدن عدد 35، سنة 2000، ص: 84، نادي جدة الأدبي، المملكة العربية السعودية.

إن الجزائر بلد عربي مسلم يعتز بعروبته ودينه ويعمل على توثيق الصلة بين ماضيه وحاضره والمحافظة عليها لبناء شخصيته المتميزة وتخليدها عبر الأجيال، وذلك لا يتم إلا من خلال اللغة العربية لأنها:

– هي الوسيلة الأساسية في تحقيق الانسجام بين منظوماته المختلفة وبين أفراده ومؤسساته بارتباطها بالقرآن الكريم وبما لها من تراث فكري وفني وروحي، فإنها هي الحامل الناقل لمفاتيح الوعي المادي والمعنوي والحضاري والروحي للمجتمع الجزائري عبر مسيرته التاريخية الطويلة، وبذلك فهي الأقدر على الحفاظ على الشخصية الجزائرية العربية المسلمة، لما فيها من ملامح العروبة وسمات الدين الإسلامي الحنيف والحياة المشتركة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها.

– هي لغة التعليم التي نُبَلِّغ بها المعلومات ونبحث عنها ونصوغ من خلالها أشكال الوعي التربوي والمعرفي والعلمي.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن من خصوصيات المجتمع الجزائري طرحه لمسألة اللغات الأجنبية بشيء من الحساسية والإفراط فيها أحيانا نتيجة ظروف تاريخية واجتماعية وحضارية ونتيجة العلاقة بين العربية التي هي دستوريا اللغة الرسمية للبلاد وبين اللغة الفرنسية التي ما تزال تؤدى بها أهم الوظائف الإدارية، إذ كثيرا ما تغيب الموضوعية عن النقاش في هذه المسألة بل من الصعب أن تتحقق بالنظر إلى دلائل السياق الاجتماعي – الثقافي الجزائري.

ب – اللغة العربية في الجامعة والإطار الجزائري المنشود:

نتحدث عن مكانة اللغة العربية في التكوين العلمي والثقافي لطلاب الجامعة وذلك بمحاولة تحديد الاحتياجات اللغوية الأساسية للإطار الجامعي الجزائري طالبا كان

أم أستاذا أم موظفا إداريا تمكنه اللغة من التعبير عن نفسه وانشغالاته وأداء وظائفه في الحياة الاجتماعية والتواصل مع غيره وذلك بالنظر إلى المتغيرات العالمية المحيطة بنا ومنها:

– الانفجار المعرفي، يعد عصرنا هذا بحق عصر المعرفة، ولا مكان فيه لمن لا معرفة له، ولذلك نطرح السؤال التالي: كيف نعرف، وكيف نتكيف مع هذه المعرفة ونستفيد منها في خدمة لغتنا وبلدنا؟

– تطور وسائل المعرفة وأساليبها، فلم تعد مقتصرة على استخدام الكتب والمراجع وما صاحبه من إنشاء للمكتبات التقليدية، وإنما أصبحت أهمية الحاسوب في تخزين المعلومات وكيفية التعامل معها واستخدام "الانترنيت" وسيلة من وسائل التواصل الأوسع نطاقا والأكثر تنوعا، » فتشير جميع الدلائل إلى أن التواصل عن بعد، عبر الوسيط الإلكتروني، سيقلب مفهوم التواصل اللغوي الذي اعتدنا عليه رأسا على عقب سواء من حيث تنوع أشكال التواصل واتساع نطاقه وتعدد مطالب فاعليته « (□ يم).

– بروز مفهوم العولمة والدور الهام الذي تقوم به اللغة في ذلك سواء أكانت العولمة ذات أبعاد إيجابية أم كانت سلبية، فإن كانت العولمة تعني الوفاق بين الأمم والشعوب فإن اللغة تؤدي به دورا أساسيا في حوار الثقافات والعمل على التواصل بينها، وإن كانت العولمة تعني الصراع بين الأمم والشعوب فإن اللغة تقوم أيضا بدورها في ترجيح كفة الصراع للقوى الغالبة وتفضي حتما إلى سيادة لغة الدولة

[17] – نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، ص: 234.

المهيمنة في العلاقات التجارية والاقتصادية والثقافية وما يتبع ذلك من تكتل إقليمي ولغوي تفرضه المصلحة. وفي ضوء هذه المتغيرات يمكننا أن نطرح السؤال التالي: من هو الإطار الجزائري الذي سنكونه في العشريتين المقبلتين وما هي مواصفاته اللغوية والعلمية والبيداغوجية؟

إن الإطار الجزائري المنشود الذي نسعى إلى تكوينه في السنوات المقبلة طبيبا أو مهندسا أو مديرا لبنك ما أو أستاذا جامعيا أو معلما أو عاملا بشركة صناعية أو طيارا... أو سياسيا، يجب أن يكون قبل كل شيء متمكنا من اللغة العربية يؤدي بها وظائفه بكفاءة ونجاعة و ينبغي أن يعرف إلى جانبها لغة أو لغتين أجنبيتين وبخاصة اللغة الإنجليزية، لأنها لغة البحث العلمي بلا منازع ولغة التواصل الإعلامي كذلك. فنسبة 65% من برامج الإذاعة في العالم باللغة الإنجليزية و 70% من الأفلام ناطقة بالإنجليزية و90% من الوثائق المخزنة في الانترنيت بالإنجليزية و 85% من المكالمات الهاتفية الدولية بالإنجليزية.

والأمر نفسه بالنسبة إلى السياسة والاقتصاد، فلا يخرج موقف الولايات المتحدة الأمريكية –القطب اللغوي الأوحد بلا منازع– عن كونه صدى لمصالحها الاستراتيجية داخلية كانت أم خارجية[18].

إنه لا يمكننا أن نطور لغتنا في مجالي البحث العلمي والاستعمال إلا إذا كنا نعرف إلى جانبها لغات أجنبية نستثمرها في خدمة لغتنا لنعرف موقع تراثنا العربي– الإسلامي في العالم ونحصل على المعلومة في مصادرها الحقيقية، فإذا حققنا

[18] – المرجع نفسه، ص: 237.

هذا الهدف أمكننا بعد ذلك أن نحقق أهدافا حضارية أوكدها: تدريس أغلب المواد المختلفة في الجامعة باللغة العربية.

جـ- الحلول التي تقترحها اللسانيات التطبيقية وتعليمية اللغات:

تقدم اللسانيات التطبيقية وتعليمية اللغات معرفة علمية خصبة للغة العربية من شأنها أن تؤدي إلى ترقيتها وتطوير طرائق تعليمها وقدرتها على التبليغ والتواصل في العملية التربوية من حيث أهدافها وإعداد برامجها ومحتوياتها وأساليب تقويمها الناجعة.

إن ما نلاحظه في هذا الإطار هو غياب هذا التخصص العلمي الفعال في الجامعة الجزائرية(تديه) ولهذا اقترح أن يتم إحداثه في جميع الفروع الجامعية نظرا لفوائده الكثيرة ونظرا للحلول التي يمكن أن يقدمها لخدمة اللغة العربية من حيث تعليمها واستعمالها في الجامعة ومنها:

1 - إعادة صياغة الأهداف التعليمية بدقة ووضوح الغايات والمرامي والأهداف العامة والخاصة بما يحقق الانسجام بين لغتنا وبين مقتضيات العصر وذلك بـ:

- العمل على تحديد منطلقات البحث العلمي في مجال اللسانيات التطبيقية وتعليمية اللغات والتركيز على الفهم والتحليل والتلخيص والتحكم الواعي في النظرية والتطبيق.

---

19 - كثيرا ما تنظم الملتقيات الوطنية في أقسام اللغة والأدب فلا يحظى هذا التخصص بالأهمية اللازمة، وإنما تعطى الأهمية للنصوص الأدبية الإبداعية وتوصف التعليمية بأنها مدرسية لا ترقى إلى مستويات التحليلي الأبي. بينما في الحقيقة نقد عمق الأشياء في تطوير وترقية تدريس اللغة العربية وآدابها.

– اعتماد سياسة شاملة منسجمة لتطوير التعليم مراعية المستجدات العلمية والتقنية

والمعرفية في العالم آخذة في الاعتبار سياسات المجتمع الجزائري في خططه التنموية مرجعا لها.

– التركيز على الدراسات المستقبلية بدلا من الاهتمام المتزايد بالماضي، لأن مستقبل اللغة العربية مرتبط بمدى قدرتها على مشاركة اللغات الأخرى في تحقيق التواصل الإنساني في العالم.

– العمل على تهيئة ظروف التفاعل اللغوي بتوجيه أهداف التعليم إلى المتعلم العربي الملزم بحكم الضرورة لأن يكون متعدد اللغات انطلاقا من اللغة العربية[20].

2 – تحديث المحتويات الدراسية باللغة العربية لتواكب التفجر المعرفي وتتلاءم مع العصر كإدخال المفاهيم والمعلومات الجديدة مثل علوم الفضاء والمعلوماتية والاتصالات والهندسة الوراثية[21]... من أجل بناء جيل قادر على القيام بدور فاعل منتج في المجتمع وذلك بتطوير المناهج اللغوية في مراحل التعليم العام كافة على أسس تربوية سليمة تراعي التدرج والتنوع وتجديد الحد الأدنى من المعارف والمهارات لكل مرحلة تعليمية[22].

---

[20] – انظر أحمد حساني، دراسة القيمة الموسومة ب: المرتكزات اللسانية لتعليمية اللغة العربية " مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية " 6 – 8 نوفمبر 2000، الجزائر، ص: 79-80.

[21] – انظر، مجلة بناة الأجيال، عدد 26، سنة 1998، سورية، ص: 54.

[22] – المرجع نفسه، ص: 56.

– العمل على الربط بين التأسيس النظري والإنجاز التطبيقي ووجوب تأسيس مناهج التعليم والبحث في الجامعة على الارتباط الوثيق بين الدراسات التجريبية العلمية في الطب والكيمياء وغيرها من العلوم الإنسانية كالفلسفة والأدب[23]، أي العمل على مراعاة الترابط بين الاختصاصات. يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في هذا الشأن:.. » وفيما يخص هندسة اللغة فقد صار علماء اللسان في زماننا هذا يتعاونون مع المهندسين في الحاسوبيات والإلكترونيات... وقد يضطر المهندس إلى أن يلم بالكثير من مفاهيم اللسانيات الحديثة إذا تناول ميدانا من البحث يخص اللغة ونظامها وبنيتها... «[24].

– الربط بين المواد التعليمية المختلفة والثقافة المحيطة بها أي بين المعرفة اللغوية والثقافة العلمية .

– إسناد تدريس مادة المصطلحات العلمية في الجامعة باللغة العربية إلى أساتذة يجيدون عدة لغات وينتمون إلى التخصص نفسه، وتكون لهم تجربة في منهجية البحث.

– توخي استعمال اللغة العربية في ممارسة الحديث وكتابة البحوث العلمية التي يتم إنجازها في جميع الفروع العلمية.

---

[23] – انظر، سعد دعبيس، اللغة العربية والتكوين الثقافي لطلاب الجامعة، مجلة علامات في النقد، ص: 97.

[24] – انظر، عبد الرحمان حاج صالح، ضمن أعمال الندوة العالمية: " مكانة اللغة بالعربية بين اللغات العالمية "، ص: 32.

– الدعوة إلى تأسيس مجمع لغوي عربي مدرم لما تحتاج إليه اللغة العربية بالفعل ومتجاوب مع المتغير المعلوماتي، وتكون له سلطة التشريع اللغوي[25].

3 – تطوير طرائق التعليم وأساليب تقويمه الفعالة في تبليغ المعلومات وتقويمها بما يحقق الأهداف المرجوة من الناحية العلمية والبيداغوجية، وبما يؤدي إلى جعل أستاذ اللغة العربية يخرج من عزلته ويحتك بغيره وهو واثق من نفسه ومن معارفه عامل بوعي على أن يتكون تكوّنا لسانيا أساسيا وبيداغوجيا كافيا ومتحررا من الجدل العقيم في بعض المسائل اللغوية البسيطة التي لا تفيد من مثل "قل ولا تقل" و"خطأ وصواب" وإنما يعمل على التمكين لاستعمال اللغة العربية استعمالا وظيفيا في مسار الحياة الواقعية، وفي إبداء الرأي والاحتجاج له والبرهنة عليه، وفي عمليات التبادل والتفاوض والتراسل والمكالمات الهاتفية وما يقتضيه الخطاب من علاقات لغوية ووظائف تداولية. فللغة العربية من الخصائص ما يجعلها لغة عالمية كباقي اللغات.

5 – خلاصة:

ومحصول الحديث بالنظر إلى كل ما تم التطرق إليه أن نواجه أنفسنا بالحقيقة وهي أن التخلف لا يكمن في اللغة العربية وإنما يكمن فينا نحن المتحدثين بها، فعلينا أن نكون على وعي تام بأهميتها الحضارية وبقيمتها في ترسيخ الفكر ونقل الوعي وإنتاج العلم والمعرفة باقتدار وهو أمر يحتاج إلى المعرفة النظرية المعمقة والخبرة العلمية في توظيفها بما يناسب مقتضيات عصرنا الذي أصبحت فيه اللغة والثقافة

[25] – انظر، نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، ص: 237.

صناعة تكنولوجية ومعلوماتية معقدة، تتجاوز الخطب الصاخبة وأحاديث الصالونات والحماس الجارف.

إن العمل على ترقية استعمال اللغة العربية يتظافر إلى حد بعيد مع درجة الوعي على مستوى القيادات السياسية في كامل الوطن العربي بخطورة المسألة ونبل المسعى ويتحقق حتما إذا تم إحلال اللغة العربية محلها في القيام بتأدية الوظائف الإدارية المختلفة وذلك ما نرجوه.